



من حق السوريين أن يشتكون من تأخر انتصار ثورتهم التي طال أمدها.

ومن حق الساخرين منهم أن يستقبلوا التصريحات المتتالية المبشرة بسقوط نظام الأسد بوابل من السخرية بعد أن سمعوا الكثير منها منذ بدء الثورة قبل حوالي عامين.

لا بل من حقهم أيضاً أن يشكوا بالتسريبات والتوقعات التي تنبئ بانهيار النظام بين شهر وآخر، خاصة أنهم عانوا ما لم يعانيه شعب في العالم من الوحشية والبربرية العسكرية المدعومة إيرانياً وروسياً وصينياً.

لكن لو دقق السوريون الشاكون من طول أمد الثورة في وضعهم ووضع ثورتهم، ولو قارنوها بروية وموضوعية ببقية الثورات العربية في تونس ومصر ولبيبا واليمن، لما كانوا اشتكوا أو شككوا بالتصريحات التي تبشر بسقوط نظامهم. من السخف مقارنة الثورة السورية بثورات مصر وتونس واليمن، لأن تلك كانت مجرد نزهة مقارنة بالثورة السورية، خاصة أن بعض المتظاهرين المصريين كانوا يخرجون إلى الشوارع كما لو أنهم ذاهبون في رحلة استمتاع، بينما كان المتظاهرون السوريون يودعون أهلهم وذويهم قبل الخروج في مظاهرة لأن أجهزة الأمن والجيش كانت تطلق النار بشكل عشوائي على كل من يخرج في مظاهرة سلمية، لا عجب أن قال أحد نشطاء الثورة في بدايتها إن كل متظاهر سوري يساوي عشرين ألف متظاهر آخر لأنه يضع روحه على كفه قبل الخروج إلى الشارع.

وبالتالي، من الإجحاف إن لم يكن من السذاجة وضع الثورة السورية في نفس السلة مع الثورات المصرية والتونسية واليمنية التي قرر الجيش في تلك البلدان أن يقف على الحياد تماماً، إن لم يصطف إلى جانب الشعب الثائر.

أما في سوريا فقد دخل الجيش وأجهزة الأمن المعركة إلى جانب النظام في مواجهة الشعب ضارباً عرض الحائط بأخلاقيات الجيوش الأخرى التي ترفض إطلاق رصاصاً واحداً على أبناء جلدتها.

ولا داعي للتذكير بأن الجيش المصري هو الذي ضغط على الرئيس كي يتنهى عندما اشتد ضغط الشارع.

وكذلك فعل قائد الجيش التونسي وحتى اليمني، ناهيك عن أن الرئيس السوري هدد منذ خطابه الأول في مجلس الشعب بأنه سيقلب حركة دومينو الثورات في الاتجاه المعاكس بالحديد والنار، أي أنه سيجعل الثورة السورية آخر الثورات العربية.

لا مثيل للثورة السورية عربياً إلا النموذج الليبي. فقد شاهدنا منذ انطلاق الأحداث كيف تأهب القذافي جيشاً وكتائب أمنية

ومرتزقة لمواجهة الثورة بالحديد والنار رافضاً مجرد الإصغاء لمطالب المحتجين، فما بالك أن يتفاوض معهم. ولو لا الدعم الدولي ممثلاً بطيران حلف الناتو لكانت الثورة الليبية مشتعلة حتى الآن، ولكن معظم المدن الليبية شبه مدمرة تماماً كمثيلاتها السورية.

تذكروا أن الصراع في ليبيا بين الثوار وقوات القذافي المتخلفة دام أكثر من ثمانية أشهر بمساعدة مئات الطائرات الأطلسية التي قامت بألوان الغارات على موقع القذافي، ومع ذلك صمد وقتاً طويلاً جداً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار حجم القوة التي تعاضدت ضده داخلياً وخارجياً.

ليس من السهل على أي ثورة في العالم أن تنتصر بسرعة وسهولة على أي نظام قرر استخدام كل ترسانته العسكرية التي بناها على مدى عقود ضد شعب أعزل أو حتى مسلح تسليحاً خفيأً.

من السخف الشكوى من طول فترة الثورة السورية دون النظر إلى أن الشعب التأثر يواجه جيشاً نظامياً مدمجاً بكل أنواع الأسلحة، ناهيك عن حشود هائلة من المرتزقة المعروفين بالشبيحة الذين لا يتورعون عن القيام بمجازر وجرائم بحق التأثيرين يخجل منها الذين قاتلوا إلى جانب نيرون روما.

ولا ننسى فالقوات العراقية والإيرانية وميليشيات حزب الله والخبرة الروسية الرهيبة التي تعمل جنباً إلى جنب مع الجيش السوري في سحق الثوار.

ولا ننسى أن الروس قدموا للنظام السوري كل الخطط العسكرية التي استخدموها ضد ثوار الشيشان. وقد لاحظنا أن عمليات تدمير المدن التي يقوم بها الجيش السوري مستقلة تماماً من الخطط الروسية.

ل لكن واقعيين، العين لا يمكن أن تقاوم المخزز، مع أنها حاولت وتحاول في سوريا بنجاح منقطع النظير. هل شاهدتم تارياً نظاماً وصل به الأمر إلى التهديد باستخدام الأسلحة الكيماوية المعروفة بنووي العالم الثالث المحرم دولياً ضد شعبه التأثر؟

لم يحدث أبداً، فحتى الغزاوة تورعوا عن استخدام السلاح المحرم. وأقصى ما لجأ إليه الإسرائيليون في غزة هو الفوسفور الأبيض الذي يعتبر مجرد لعبة عيال بالمقارنة مع السلاح الكيماوي.

لقد قال أحد كبار الضباط السوريين إنه كان ممنوعاً عليهم الطيران فوق القرى والمدن رأفة بالأطفال والحوامل، أما الآن فإن الطائرات السورية لا تطير فوق المدن والقرى فقط، بل تدكها بالبراميل والصواريخ وكل أنواع القذائف الرهيبة، فتتطاير أشلاء الأطفال والنساء اللواتي كان ممنوعاً على الطائرات أن تطير فوق قراهم خشية تعرضهن للإجهاض.

لكن رغم أن الثوار السوريين يقاتلون بمفردهم ضد جيش مدعوم روسياً وعراقياً وإيرانياً ومن حزب الله، على عكس الثوار الليبيين الذين كانوا يقاتلون بدعم دولي جيشاً مفككاً متلافاً، ومع ذلك أمضوا أكثر من ثمانية أشهر للانتصار عليه، فما بالك أن يقاتل الثوار السوريون عدة جيوش من أقوى الجيوش في العالم، ومع ذلك يحققون المعجزات على الأرض بقليل من السلاح، ومن دون أي غطاء جوي.

لو قارنا ما أنجزه الثوار السوريون خلال أقل من سنتين مع غيرهم، لوجدنا أنهم أنجزوا أكثر بكثير مما كان متوقعاً منهم، فهم الآن يسيطرون على السواد الأعظم من التراب السوري.

من كان يتوقع أن يحشد النظام معظم فرقه العسكرية حول دمشق ومطارها لصد الثوار الذين باتوا يدقون أبواب دمشق بقوة؟

من كان يتوقع أن تحول مدينة حلب التي كانت وسائل إعلام النظام تصورها على أنها مدينة المشاوي واللهو والسهرات الملاحة أن تصبح عرين الثورة، بعد أن بات أكثر من ثمانين بالمائة منها تحت سيطرة الثوار؟
كم أعلن النظام عن تطهير مناطق كثيرة في حمص ودمشق، ثم تعود للاشتعال بين ليلة وضحاها؟

أليس هناك داخل دمشق وحدها أكثر من ثلاثة مائة حاجز مما يدل على أن النظام يعيش في حالة حصار؟
أليس اللجوء إلى صواريخ "سكود" لمقاتلة الثوار دليلاً على أن النظام في أسوأ حالاته؟
أليس مجرد اللجوء إلى سلاح الطيران دليلاً هزيمة أكثر منه دليل نصر، خاصة أن الطيران يستهدف مجموعات مسلحة
بسقطة لا تمتلك لا ببابات ولا راجمات ولا مدافع ثقيلة؟
فكيف لو كان الثوار مدججين بسلاح نوعي مثلًا؟

أشعر بحزن شديد وأنا أكتب عن قتال بين الإخوة الأعداء أبناء جلد واحدة.
فالذين يسقطون من الجانبين هم أبناء سوريا، ناهيك عن أن العتاد الذي يتم تدميره تم شراؤه من عرق السوريين.
كم هو محزن أن تناصر سورياً على سورياً، لكن كما قال حمورابي صاحب أقدم القوانين المدونة في التاريخ: "البادئ
أظلم"، ومن سلط الجيش على الشعب بعد أسابيع قليلة من الاحتجاجات السلمية بشهادته هو نفسه هو المسؤول الأول
والأخير عما آلت إليه الأمور في سوريا الذبيحة

الشرق القطبية

المصادر: